

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثانية - العدد السابع - خريف ١٣٩١ش / أيلول ٢٠١٢م

فضاء النقد في شروح المعلقات (دراسة سانكرونية)

سميه حسنعليان*

سيدمحمد رضا ابن الرسول**

الملخص

إنَّ للمعلقات مكانةً مرموقةً في الأدب العربي، فضلاً عن أهميتها في العلوم المختلفة التفسيرية، واللغوية، والنحوية واحتوائها على كثير من الألفاظ الجاهلية وغريبها، ولهذا فقد اهتمَّ بها كثير من الشراح، وقد أبدوا آراءهم النقدية ضمن شرحهم هذه القوائد النفيسة. ومن هذا المنطلق يحاول هذا البحث استخلاص المنهج النقدي الذي تميَّز به الشراح في شرح المعلقات مستخدماً المنهج التوضيحي - التحليلي. وانسياقاً من هذا تقوم الدراسة على خطة تنهض على محورين بارزين هما: المقام والمقال. وقد اتَّضح من البحث أن الشراح اهتمَّوا بالنقد في شروحهم وإن لم يكونوا مكثريين منه، وظهرت آراؤهم النقدية في المستويات المختلفة منها المستوى الفني (المعجم، والصوت والإيقاع، والنحو والبلاغة)، والمستوى الدلالي.

الكلمات الدلالية: المعلقات، الشروح، النقد، سانكرونية، المقام، المقال.

Shassanalian@yahoo.com .

*. أستاذة مساعدة بجامعة إصفهان، إيران

** . أستاذ مساعد بجامعة إصفهان، إيران

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. مهدي ناصري.

تاريخ القبول: ١٣٩١/٩/١ هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩١/٢/٣ هـ. ش

١. المقدمة

للشعر الجاهلي عامة وللمعلقات خاصة مكانة مرموقة بين ما أثر من أدب العرب طوال حياتهم التاريخية، منذ ذلك الزمن البعيد الذي عاشوا في حدود الجزيرة العربية إلى العصور التي انتشروا فيها حاملين مشاعل الإسلام في مختلف بقاع الأرض. وما من عصر من عصور التاريخ الطويلة التي عاشت فيها الأمة العربية إلا وبرزت فيه العناية الواضحة بالشعر الجاهلي والمعلقات بروزاً واضحاً، كأنهم ورثوا طبيعة الحرص على هذا التراث. وذلك لأنّ الشعرَ الجاهليَّ يُعدُّ أهمَّ مصدر من المصادر التي يستمدُّ منها الباحثون في دراسة تاريخ هذه الأمة وحضارتها ولذلك عُنيَ الباحثون في الأدب العربي والمشغوفون بها في البلاد العربية وغيرها بدراسة هذا الأدب.

هذا من جهة ومن جهة أخرى إنّ الشعر كان يحتلّ مكانة مرموقة بين الناس وأصبح شاعره جزءاً مهماً في نظام القبيلة يمجّد بطولاتها ويصور آمالها ويفخر بماثرها. ولما كانت المعلقات بوصفها جزءاً من هذا الميراث القيّم هي «الصورة الأخيرة التي انتهت إليها تجاربُ الجاهليين في التعبير الشعريّ ولذلك فاقت شهرتها شهرة ما سواها من الشعر الجاهلي، بل الشعر العربي على الإطلاق وأصبح لأصحابها من الذكر في تاريخ الأدب العربي ما لم يظفر به غيرهم من الشهرة وذبوع الصيت ومن الممكن اعتبار تلك الصورة التي وصلت بها إلينا المعلقات، الصورة الكاملة للشعر العربي بما اجتمع لها من حسن الوزن وجودة القافية، وقوة المعاني، وجزالة الألفاظ، ومتانة الصياغة.» (طبائنة، ١٩٥٨م: ٥)، فلا شك أن العلماء والأدباء اهتموا بها واستشهدوا بها في مؤلفاتهم الأدبية، والتاريخية، والبلاغية، والنحوية، والتفسيرية. كما أن أثر المعلقات في النحو لا يقلّ عنه في التفسير؛ فقد حظيت هذه القصائد بمجهود النحاة قديماً وحديثاً فكثرت الشواهد النحوية من شعر المعلقات وخاصة إذا اعتمدت برواياتها المختلفة ولبعض هذه الشواهد أثرٌ كبيرٌ في تثبيت القاعدة النحوية ولا سيّما القواعد التي انفردت شواهد المعلقات دون سواها في تثبيتها. (دويكات، ٢٠٠٠م: ١٤)

ولا يخامرنا شك أن هناك أسباباً مهّدت لنشأة شروح الشعر عامة والمعلقات خاصة، منها: سبب تاريخي، وسبب لغويّ وسبب عاطفيّ.

ومن أهمّ هذه الشروح القديمة: شرح المعلقّات التسع لأبي عمرو الشيباني^١ (ت ٢٠٦ق)، شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨ق)، وشرح القوائد المشهورات الموسومة بالمعلقّات لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ق)، وشرح المعلقّات السبع للزوزني (ت ٤٨٦ق)، وشرح المعلقّات العشر للخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ق).

وقد ظهر النقاط النقدية الهامة في هذه الشروح فكان من الأهمية بمكان تسليط الضوء على طبيعة النقد عند شرّاح المعلقّات ومنهجهم النقدي في شرح هذه القوائد النفيسة.

ومن أهمّ الأهداف التي تقصد هذه المقالة تحقيقها: دراسة منهج شرّاح المعلقّات النقدي في شروحهم، والإشارة إلى آراء الشرّاح النقدية. والمنهج الذي يتبعه هذا البحث هو التوصيفي - التحليلي. فقد تمّ تركيزنا في هذه المقالة على عدة شروح قديمة مذكورة آنفاً وتعاملنا مع آثار الشرّاح وفق العقيدة البنيوية بطريقة سانكرونية أي على أساس أنها آثار متزامنة مع ذواتها عبر رصد الفضاء والحيز.

والجدير بالذكر أنه بالنسبة إلى منهج شرّاح المعلقّات النقدي فنكاد لانعثر على ما يُذكر في هذا الكتاب أو على بحث آخر شامل واف للموضوع. أما الخطة التي اخترناها للبحث عن النقد في شروح المعلقّات فتنهض على محورين بارزين هما: المقام والمقال^٢.

وإليك الآن تعريف بعض المصطلحات التي وردت في البحث:

١. جدير بالذكر أن هناك قرائن تثبت أنه لا تصح نسبة هذا الشرح إلى الشيباني ولا يسع البحث هذا الموضوع ولكننا افترضنا صحة نسبة هذا الشرح إليه ودرسنا النقد فيه.
٢. ولا يفوتنا الذكر بأننا اتبعنا هذين المصطلحين والخطة المتوخاة في بيان منهج الشرّاح النقدي طريقة الدكتور أحمد الودرني في كتابه «شرح الشعر عند العرب؛ من الأصول إلى القرن ١٤ق (دراسة سانكرونية)» إذ حاول الباحث في كتابه المذكور البحث عن أجوبه لهذه الأسئلة: كيف شرح العرب أدبهم؟ وما هي أطُرهم المرجعية في ذلك؟ ثم انعقد كلامه على مصطلح الشرح داخل الأصول العربية ضمن التحليل المعجمي واعتبره وسيلة تمكنته من ضبط سياق المصطلح ودرسه من داخل اللغة المعنية؛ إذ أدى كل هذا به إلى الانتقال للبحث في تطور المصطلح عبر الفضاءات. وقد بيّن الباحث فضاءات ثلاثة لشرح الشعر عند العرب هي: فضاء الرواية عند أبي عبيدة، فضاء النقد عند أبوبكر الصولي، المرزوقي والتبريزي وفضاء الإحياء والتحديث عند اليازجي والبرقوقي. (الوردني، ٢٠٠٩م: ١٦)

● المقام^١: هو مجموعة الأوضاع النفسية والاجتماعية والتاريخية أو العناصر غير اللسانية التي تحدّد بتّ ملفوظ أو أكثر في فترة من الزمن محدّدة وفي مكان بعينه. أما في اللسانيات فعوضاً عن المقام يقع الحديث عن السياق أو السياق المقامي. (الوردني، ٩٠٠٢م: ٤٤)

● المقال^٢: هو اللغة في حالة استعمال أي لسان من الألسنة ينهض بوظيفة فاعل / متكلم. (الوردني، ٩٠٠٢م: ٤٤)

● الشرح^٣: «هو الكشف، يقال: شرّح فلان أمره أي أوضحه وشرّح مشكلة بينها وشرّح الشيء يشرّحه شرّحاً وشرّحه فتحه وبيّنه وكشفه وكلّ ما فُتح من الجواهر فقد شُرح أيضاً تقول: شرّحتُ الغامض إذا فسّرتُه والشرح الفتح والشرح البيان والشرح الافتراض للأبكار.» (ابن منظور، مادة: شرح) وهناك بعض المصطلحات والمفاهيم يقترب في معناها من الشرح، ألا وهي: التفسير والتحليل والتأويل وبين كل هذه المصطلحات متصوّرات جامعة تؤلّف بينها على نحو يجعلها تضطلع فيه بنفس الوظيفة الدلالية وإن تعددت العلامات وتباينت. (الوردني، ٩٠٠٢م: ٨١ نقلًا عن الزيدى: ٠٤) قبل الدخول في صلب الموضوع علينا أن نوضح الأصول التي وضعها السلف في شرح النصّ وتوارثها الخلف منهم وقد تجلّت على ثلاثة أصعدة هي:

نواة الشرح: وهي البيت الشعريّ كوحدة دنيا فهو عندهم النصّ وعليه المدار.
حدود الشرح: فالشارح امتدّت عنايته إلى نصّين: نصّ المقام ونصّ المقال.
نمط الشرح: إذ كان الشارح يتعامل مع النصّ الشعريّ تعاملًا ثلاثي الأبعاد: البعد اللغويّ، والبعد المعنويّ، والبعد الفنيّ.

ولسنا ممن يريدون إخراج القديم في ثوب جديد بل نحن ممن جعلوا ديدنهم التأسيس بفهم القديم بالقديم في ضوء الحديث، كما يدلّ عنوان الدراسة هذه عليها.

٢. مظاهر تعامل الشروح في ضمن فضاء النقد:

في هذا القسم من المقال نهتم بالمحورين الأساسيين للبحث عن النقد في شروح

1. Situation du discours
2. Discourse
3. Explanation

المعلقات مشيراً إلى الشواهد المختلفة لها.

٢.١. المقام:

«إن المقام ينهض على عدة أطر تتواصل تراكباً أو تعاقباً. ويعمد الشارح إلى أن ينزّل ضمنها النصّ الشعريّ باعتباره حدثاً قولياً يرتبط بأحداث غير لسانية مؤثرة فيه فاعلة، لذا أمكن النظر في نوعين من المقام: مقام خارجيّ يضمّ إطارين: التاريخ والاجتماعيات، ومقام داخليّ يضمّ إطارين: رواية النصّ وفضاء الإنشاد.» (الوردني، ٢٠٠٩م: ٤٤)

٢.١.١. الخارجيّ:

يحتوى هذا النوع من المقام على إطارين، هما:

٢.١.١.١. التاريخ:

يُلاحظ قارئُ شروح المعلقات أنّ أصحاب هذه الشروح يعرضون ضمن شرحهم لنوعين من الأحداث: أحداث عامة مثلت حافزاً من حوافز القول الشعريّ وباعثاً عليه، واتصلت بالنصّ في كليته؛ وإليك بعض النماذج منها:

امتاز ابن الأنباريّ بين الشّراح بأنه كان يأتي بمقدمات طويلة في بداية كل معلقة مشيراً إلى نسب الشاعر، موضحاً سبب إنشاد القصيدة مروراً بالحوادث التاريخية مستنداً إلى العلماء والرواة الذين سمع منهم أو أخذ عنهم هذه الأخبار وزوّد قارئ شرحه بمجموعة ضخمة من المعلومات التاريخية والأخبار التي تتعلق بذاك العصر.

ولكن النحاس لم يُشر في مقدمة شرحه لكل قصيدة إلى سبب إنشاد هذه القصائد إلا في معلقة زهير إذ ذكر أنّه قال هذه القصيدة لمدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان المريين. (النحاس، لاتا: ٩٩/١)

لانكاد نجد شرحاً وافياً للحوادث التاريخية وأخبارها مما يتعلّق بالمعلقات في شرح الزوزنيّ وكان الشرح بعيد كلّ البعد عن أتون الشطحات التاريخية. ولم يصدر الزوزنيّ في شرحه كلّ معلقة بمقدّمة إلا لمعلّتين؛ هما: معلقة امرئ القيس ومعلقة طرفة بن العبد.

في مقدمته لمعلّقة امرئ القيس بدأ من قصة حبّ الشاعر لعنيزة ابنة عمّه وما فعل في يوم دارة جلجل بفتيات الحمى من سرقة ملابسهنّ واشتراطه إعادتها إليهنّ بخروج كلّ فتاة من الماء ومجيئها متجردة، وعقره ناقته لهنّ، وحملهنّ أمتعتنّه. أشار الزوزنى إلى هذه القصة موجزة ومع أن بعض الشراح الآخرين كابن الأنباريّ يعدّ هذه الحادثة سبباً لنظم القصيدة ولكن الزوزنى قال: «وذكر (أى امرؤ القيس) هذه القصة في أثناء القصيدة». (الزوزنى، ١٩٦٣م: ٦) وكأنّه لم يقبل كون هذه الحادثة سبباً في نظم القصيدة كلّها؛ ولعلّه على حقّ إذ من الصعب القول بأنّ المعلّقة بكاملها قيلت من أجل هذه الحادثة إذ أشار الشاعر إلى يوم دارة جلجل في الأبيات ١٠ - ١٥، ولكنّه لم يذكر من القصة التي ساقها الرواة إلا ذبحه الناقة للفتيات، ولم يُشر إلى خروج الفتيات من الماء متجرّدات علماً بأنّ امرأ القيس لم يكن من الشعراء الذين يتعفّفون في شعرهم.

وفي مقدمة معلّقة طرفة بن العبد يبدأ حديثه عن قول المفضّل بن الضبيّ في ذكر حسبه الكريم، وشعره الهجائيّ في زوج أخته وما دار بينه (أى زوج أخته عبد عمرو) وبين عمرو بن هند الملك. وقال الزوزنى بعد ذكره رواية المفضّل وقد كان قال في ذلك قصيدته التي أوّلها «لخولة أطلال» وكأنّه يريد القول إن سبب إنشاد المعلّقة هو شعور الشاعر بقرب موته بالبحرين. وانفرد الزوزنى ببيانه السبب هذا ولكننا لا نجد أية إشارة إلى الحادثة التي انتهت بقتله. ويشير الزوزنى أيضاً إلى سبب آخر في قتل طرفة من رواية العتبىّ في المقدمة.

النوع الثاني من الأحداث التي أشار إليها الشراح هي أحداثٌ خاصةٌ ترتبط بجانب من جوانب النصّ، منها:

قال الخطيب التبريزيّ في شرح البيت الـ٤٩ للحارث، مشيراً إلى حادثة محاربة كسرى لإياد، وذكر أن لقيط بن يعمر الإياديّ الذي كان ينزل الحيرة عندما أطلع على ما قصده كسرى كتب إلى إياد وهو كانوا بالجزيرة ليستعدوا قواهم في مقابلة العدو: «فلما بلغ كتاب لقيط إياداً استعدّوا لمحاربة الجنود التي بعث بهم كسرى، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى رجعت الخيلُ وقد أصيبَ من الفريقين، ثم إنهم بعد ذلك اختلفوا فيما بينهم وتفرّقت جماعتهم فلاحقت طائفة منهم بالشام، وأقام الباقون بالجزيرة.» (الخطيب

التبريزي، ١٩٩٧م: ٣١٤)

وقال ابن الأنباري مثلاً في شرحه البيت السابع عشر لزهير:

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ

مشيراً إلى حادثة بناء الكعبة ناقلاً عن أبي عبيدة وقال: «كانت الكعبة رُفِعَتْ حين غَرِقَ قَوْمُ نوحٍ عليه السلام، فأراد الله تبارك وتعالى تكريمَ قريش، فأمر الله عز وجل أبويهم إبراهيمَ وابنه إسماعيلَ عليهما الصلاة والسلام أن يُعيدا بناءَ الكعبة شرفها الله تعالى على أسسها الأولى فأرادا بناءها لما أراد الله عز وجل من تكريم قريش، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى في القرآن: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ (البقرة ٢: ١٢٧) ... الآية. ألا ترى أنهما أول من رَفَعَ البيت بعد ما كان رُفِعَ، فلم يكن وهو مرفوع له ولادة منذ زمن نوح عليه الصلاة والسلام ...» (ابن الأنباري، لاتا: ٢٥٣)

٢. ١. ١. ٢. الاجتماعيات:

يهتمّ الشارحُ في هذا الإطار -للمقام الداخلي لشرح النصّ- بالثقافة الاجتماعية التي أظهرها الشاعر في شعره فهو متمثل إما في شجرة الأنساب وما ينشأ من علاقات وإما في الآداب التي أشار إليها الشاعرُ في شعره.

بالنسبة إلى شجرة الأنساب فكثيراً ما نلاحظ مثل هذه التوضيحات في شرح ابن الأنباري، إذ كان حريصاً على تدقيق رواية أقواله وشواهد، قال في مقدمة شرحه معلّقة ليبيد: «وأخبرنا أبو عمران موسى بن محمد الخياط قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الخراساني - وهو ابن أبي إسرائيل.» (ابن الأنباري، لاتا: ٥١٠)

قال النحاس مشيراً إلى عدم اهتمامه بمثل هذه الأمور كالحوادث التاريخية وتوضيح الأعلام الواردة في أبيات المعلقات: «ولم أكثر الشواهد ولا الأنساب ليخفّ حفظ ذلك إن شاء الله.» (النحاس، لاتا: ٣/١)

أما الزوزني فلم يتعرّض إلى تعريف أعلام الإنسان والقبائل التي أورد أسماءها في شرحه وقد اكتفى في تعريف العلم بذكر نسبه كما قال في البيت ٢٧ للحارث: «إرم: جد عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام.» (الزوزني، ١٩٦٣م: ١٦٠)، بل ربّما اكتفى

باسمه معرّفاً إيّاه بأنه «رجل» كما فعل في شرحه للبيت الـ٦١ لمعلّقة عمرو والعلم هو «علقمة بن سيف». (المصدر نفسه: ١٢٩) أو شرحه للبيت الـ٦٩ لطرفة والعلم هو «قرط بن معبد» إذ قال في شرح البيت: «يلومني ما لم وما أدرى ما السبب الداعي إلى لومه إيّاي كما لامني هذا الرجل في القبيلة، يريد أنّ لومه إيّاه ظلم صراح كما كان لوم قرط إيّاه كذلك». (المصدر نفسه: ٦٣) وكذلك موقفه بالنسبة إلى الملك «عمرو بن هند». (المصدر نفسه: ١٢٢) و«حصين بن ضمضم» (المصدر نفسه: ٨٢) وغيرهما من الأعلام المذكورة في أبيات المعلقات.

أما الخطيب فذلك في ثلاثة مواضع من شرحه، منها أنه قال في شرح البيت الأول للأعشى عند ذكر اسم «هريرة» أشار إلى «خُلَيْد»: «قال أبو عبيدة: هريرة قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قيس بن حسان بن ثعلبة بن عمرو بن مرثد فولدت له خُلَيْدًا وقد قال في قصيدته: جهلاً بأمّ خُلَيْدٍ حَبْلٌ مَنْ تَصِلُ». (الخطيب التبريزي، ١٩٩٧م: ٣٢٩)

وأما بالنسبة إلى الآداب الجاهلية التي أشار إليها الشراح في شروحهم فمنها: فقال الشيباني في شرح البيت الـ٧٥ لمعلّقة امرئ القيس قال موضحاً لفظة «دوار» في البيت، مشيراً إلى ما كان لهم من آدابهم في طواف الكعبة عراة: «ودوار اسم صنم في الجاهلية كانوا يطوفون حوله وهم عراة وأتى بعضهم إلى بني عدى فوجدهم يطوفون بدوار عراة فأعجبه ما رأى من محاسن النساء، فقال:

أَلَا يَا لَيْتَ أَخْوَالِي عَدِيًّا لُهُمْ فِي مَا أَتَوْا دَوَارُ
وكذلك كانوا يطوفون في البيت الحرام عراة أيضاً في الجاهلية، فقالت امرأة:
الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كَلَّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أَحْلُهُ
أَصَمُّ مِثْلُ الْقَعْبِ بَادٍ ظِلُّهُ

إلا الحمس وهم قريش فيطوفون في ثيابهم، النساء في الليل والرجال في النهار وكانت المرأة منهم تتخذ مسابح من سيور فتعقلها بحقوبها وتضمها وتدور الدوران بعينه. (الشيباني، لاتا: ٧٦١)

أوقال ابن الأنباري مشيراً إلى أن العرب كانوا: «يوقدون النار في شدة البرد وينحرون الجزور ويضربون بالقداح وأكثر ما يفعلون ذلك بالعشى في وقت مجيء الضيف. قال النمر:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ إِذَا الْقِدَاحُ تَوَحَّدَتْ وَشَهِدْتُ عِنْدَ اللَّيْلِ مُوقِدَ نَارِهَا
عَنْ ذَاتِ أَوْلِيَّةٍ أَسَاوِدُ رَبِّهَا وَكَأَنَّ لَوْنَ الْمِلْحِ فَوْقَ شِفَارِهَا

(ابن الأنباري، لاتا: ٢٣٠)، وقال أيضاً في شرح البيت الـ٢١ لامرئ القيس مشيراً إلى ما كان عند الجاهليين من أمر الطلاق قائلاً: «وقال خالد بن كلثوم: كان طلاق أهل الجاهلية أن يسأل الرجل ثوبه من امرأته وتسأل المرأة ثوبها.» (المصدر نفسه: ٤٦)
أوقال الزوزني مستشهداً بالآية القرآنية لشرح آداب العرب أنه استشهد بالآيتين مبيناً ما كانت تقوم به المرأة من آداب في وفاة زوجها، في شرح عبارة «إذا تناول عامها» في البيت الـ٨٨ للبيد:

وَهُمْ رَيْعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهِمْ وَالْمُرِمَلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا
إِذْ أَنْ: «المرأة كانت إذا توفى عنها زوجها أقامت عاماً ونزل بذلك القرآن في أول شيء، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ (البقرة ٢: ٢٤٠)، ثم نسخ هذا بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة ٢: ٢٣٤).» (الزوزني، ١٩٦٣م: ٢٠٧)

٢. ١. ٢. الداخلي:

أما المقام الداخلي فيحتوي إطار الرواية:

٢. ١. ٢. ١. الرواية:

يلاحظ في هذا الإطار أن الشارح يعتمد على تقديم أكثر من رواية للبين الذي هو بصدده شرحه، إليك بعض النماذج منها:

الشيبياني بما أنه كان رواية شهيراً في رواياته وجمع مجموعة كبيرة من الشعر الجاهلي

فله المنّ على كلّ من يهتم بالعربية لحفظه هذه الأشعار من يد الضياع فنراه في شرحه المعلقات أيضاً اهتمّ برواية أبياتها المختلفة، قال في شرح البيت الـ٣٨ لمعلقة امرئ القيس: في بيانه جواب «لما» مشيراً إلى جواز كون الواو مقحمة أو غير مقحمة وذكر رواية البيت تاليه بناءً على الإعراب: «وزعم بعضهم أن جواب لما قوله: انتحى بنا، والواو مقحمة ويجوز أن تكون الواو غير مقحمة والجواب محذوفاً تقديره: فلما أجزنا ساحة الحى أمنا وعلى هذا الوجه تكون رواية البيت الذى يليه: إذا قلت هاتى نوليني تمايلت، ويروى: مددت بغضنى دومة.» (الشيبياني، لاتا: ١٤٤)

أو يلاحظ أنه أشار إلى الرواية في شرح البيت دون أى توضيح آخر، قال في شرح البيت الحادى عشر للنابعة:

سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَةً تُرْجَى الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ
«ويروى جامدُ البرد.» (الشيبياني، لاتا: ٨٨)

أو قال فى بيتٍ لعنترة:

عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارِ كَأَمَّا خُضِبَ الْبِنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْمِ
«ويروى: خُضِبَ الْبِنَانِ.» (الشيبياني، لاتا: ٢٤٧)

أما ابن الأنبارى فإنه في مقدمات القصائد التى هو بصدد شرحها عندما أشار إلى الحوادث التاريخية والأنساب والأحساب اهتمّ برواياتها وذكرها مستنداً إلى قائلها، وكذلك فعله في شرح الأبيات، قال في شرح البيت السبعين لعنترة: «قال يعقوب بن السكيت: أنشدنى هذا البيت محمد بن سلام الجمحى عن يونس...» (ابن الأنبارى، لاتا: ٣٦٠)

ولم يكن ابن الأنبارى ملتزماً بأن يأتى بالرواية في موضع معين من شرحه البيت، بل أتى به في مواضع مختلفة؛ بداية شرح البيت أو في ضمن الشرح وبعد شرحه الألفاظ أو في خاتمة شرح البيت.

وكما لاحظنا أنه كان يهتمّ بالمعنى ويوضحه على أساس الروايات المختلفة، فكذلك يهتمّ بالنحو على أساس الروايات أيضاً ومثال ذلك أنه قال في شرح البيت الـ٧٢ لامرئ القيس:

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِّ
 «ويروى: أو مصابيح راهب بالحفض، فمن رفع المصابيح قال: هي منسوقة على ما
 في الكاف من ذكر البرق، ومن خفض المصابيح قال: هي منسوقة على اللمع، كأنه قال:
 كلعم اليمين أو مصابيح راهب.» (ابن الأنباري، لاتا: ١٠٠)

وأشار أيضاً إلى رواية الأبيات غير أبيات المعلقات، قال في مقدمة قصيدة امرئ
 القيس مشيراً إلى حادثة تاريخية وقد استشهد بأبيات له، قال في شرح البيت:

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِنَى أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعِقَابُ
 «ويروى «وقاهم جدّهم بنى بنى عليّ» وعلى هو عبد مناة بن كنانة.» (ابن الأنباري،

لاتا: ٦)

ذهب ابن الأنباري أبعد من هذا واستشهد بالشعر حيناً وبالآية حيناً آخر لشرح
 الرواية التي ذكرها للبيت الذي كان بصدده شرحه، قال في شرح البيت الـ٢٤ لامرئ
 القيس:

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعَشَراً عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي
 «ويروى: «يُسِرُّونَ مَقْتَلِي» بالشين أى يُظهِرون، يُقال: أَشْرَرْتُ الشئ، إذا أَظْهَرْتَهُ،

قال الشاعر يذكر أصحاب علي رضي الله تبارك وتعالى عنه:

فَمَا بَرِحُوا حَتَّى رَأَى اللَّهُ صَبْرَهُمْ وَحَتَّى أَشْرَتَ بِالْأُكْفِ الْمَصَاحِفُ

يريد: حتى أَظْهَرْتَهُ.» (ابن الأنباري، لاتا: ٤٩)

لم يكن الزوزني حريصاً على الرواية كثيراً فلا نعتبه من العلماء الذين يسندون
 رواياتهم إلى المؤلفين ولكن هذا لا يعني أنه لم يُراعِ الأمانة العلمية، بل أشار إلى بعض
 أسماء العلماء الذين أخذ عنهم - كما أشرنا في مصادره - وذكر أصحاب الدواوين الذين
 استشهد بأبياتهم في شرحه.

اهتمّ الزوزني بالشكل الكلي للرواية وحاول أن يحفظ على الهيكل العام لشرحه ولم
 يضيف إليه من عنده ما ليس فيه وإذا اضطرّ إلى ذلك نصّ على ما فعل كالذي نراه في
 شرح معلقة امرئ القيس يبدأ شرح البيت الـ٤٨:

وَقَرَبَةَ أَقْوَامٍ جَعَلَتْ عِصَامَهَا عَلَي كَاهِلٍ مِّنِّي ذَلُولٍ مُرَحَّلٍ
وقال: «لم يروِ جمهور الأئمة هذه الأبيات الأربعة في هذه القصيدة وزعموا أنها لتأبط
شراً أعنى: وقربة أقوام إلى قوله وقد أغتدى، ورواها بعضهم في هذه القصيدة هنا.»
(الزوزنى، ١٩٦٣م: ٢٨)

من مظاهر اهتمام الزوزنى بالرواية هو أنّ الرواية عنده وسيلةٌ للغاية (شرح المعنى)
ويوضّح معنى البيت على أساس الروايات المختلفة له كما وضّحنا شرحه المعنى في
البيت الثاني، و ٤١ من معلقة عمرو بن كلثوم.

وعلى الرغم من تصرفه في الرواية لم يتتبع الروايات عند الشعراء ولم يبيّن ما أجروه
من تعديل لأشعارهم بدافع من النقد الذاتي ولم يعرض الروايات على مقاييس نقدية
ليميّز الجيد من الرديء.

اهتمّ الخطيبُ التبريزيُّ بالروايات المختلفة لألفاظ البيت أو لما تعلق بالنحو
والإعراب وإن لم يُشر في كثير من المواضع إلى أسماء العلماء الذين قد أوردوا تلك
الروايات. والظاهرة اللامعة في ذكره الأخبار التاريخية أنه كان يسقط منها الإسنادُ
في غالب الأحيان ويسردها مباشرة كأنه هو الذي تلقاها من منشئها ملحقاً بها بعض
التصرف في عباراتها وألفاظها.

٢. ٢. المقال:

يمكننا في هذا الضرب الوقوفُ عند صنفين بارزين هما الشرح من الداخل والشرح
من الخارج.

٢. ٢. ١. الشرح من الداخل:

يضمُّ هذا الإطارُ المستوى الفنى، والمستوى الدلالىّ وأساسه معانى القول مقاصده.

٢. ٢. ١. ١. المستوى الفنى:

إنّ نسيج هذا المستوى هو الصرف والصوت والإيقاع والنحو والبلاغة. ونذكر هنا
لكل من هذه المقاصد نماذج.

أ. الجانب الصرفي المعجمي:

أهم الظواهر التي تجلّت في الجانب الصرفي المعجمي ويمكننا الإشارة إليها، هي:

● الإشارة إلى جمع الألفاظ ومفردها: يقول ابن الأنباري في شرحه للبيت الـ٤٣ لامرئ القيس:

وَفَرَعِ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٌ كَقَنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَشِكِلِ
«القنوّ والقنوّ والقنّا: العذق وهو الشمراخ والعذق بفتح العين: النخلة ويقال في جمع القنوّ قنوّانٌ وقنوّانٌ، وحكى الفراء قنّيان في جمع قنوّ.» (ابن الأنباري، لاتا: ٦٢)

● الإشارة إلى تذكير لفظية ما أو تأنيثها: قال النحاس في شرح البيت الـ٦٧ لامرئ القيس:

وَمَرَّ عَلَيَّ الْقَنَانُ مِنْ نَفْيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنزِلِ
«العُصْم: الوعول، واحده أعصم، والأثنى أروية وعصماء.» (النحاس، لاتا: ٤٧/١)

● الإشارة إلى معنى الكلمات وتوضيحه من خلال تصريف الألفاظ المذكورة في البيت بذكر ماضيه ومضارعه ومصدره: قال الخطيب في لفظه «عفا» في البيت الثاني لامرئ القيس:

فَتَوَضَّحَ فَالْمِقْرَاةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ
«عفا الشيء يعفُو عَفْوًا وَعُفْوًا وَعَفَاءً.» (الخطيب التبريزي، ١٩٩٧م: ٢٦)

● الإشارة إلى تكوين المفردات صرفياً كذكرهم عند كون الكلمة مصغرة: قال الشيباني في شرح لفظه «الضحى» في البيت الـ٧٤ لمعلقة امرئ القيس، إذ تصغيرها «ضُحَى» «والقياس ضحية، إلا أنه لو قيل ضحية لأشبهه تصغير ضحوة.» (الشيباني، لاتا: ٥١)

● الإشارة إلى القلب في الكلمات: وأشار النحاس إلى ذلك في شرحه البيت الـ٤٤ للأعشى:

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنَى شَيَانَ مَأْلُكَةً أبا تُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُ تَأْتِكِلُ
«المألكة»: الرسالة ومَلَكٌ عند بعض أهل اللغة من هذا لأن الأصل مَلَأَ والدليل على هذا أنه يقال في الجمع ملائكة، إلا أن هذا عند أهل النظر لا يجوز إلا على القلب،

لأن مألُكة الهمزة فيها فاء الفعل، والملاُك الهمزة فيه عين الفعل وأجود من هذا أن يكون ملاُك من قولهم: ملاُكةٌ، لأنه قد حُكي ملاُكة بمعنى مألُكة.» (النحاس، لاتا: ١٤٨/٢)

● الاهتمام بأصل اللغات للكلمات أهي كلمة رومية أم فارسية معرّبة: وفي الحقيقة تتسع دائرة شرح الكلمة الغريبة عنده لتظهر لنا صلة العربية باللغات المجاورة كقول ابن الأنباريّ في شرح اللفظة «بوصى» في البيت الـ٨٢ لطفرة:

وَأَتَلَعُ نَهَاضٌ إِذَا صَعَدَتْ بِهِ كَسُكَّانٍ بَوْصَى بِدِجْلَةَ مُصْعِدٍ

«البوصى: السفينة وهو فارسى معرّب.» (ابن الأنباريّ، لاتا: ١٧٢)

● الإشارة إلى المرادفات للكلمة التي وردت في البيت: كقول الزوزنى في البيت

الـ٩٥ للبيد:

أُغْلَى السِّبَاءَ بِكُلِّ أَدَكْنَ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةَ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا

قال: «الختام والختام والختام والختام واحد.» (الزوزنى، ١٩٦٣م: ١١٠) وكان

المعنى واضح إلى حد لم يذكره الزوزنى.

● الإشارة إلى الكلمات التي تدخل في الأضداد: وذلك كقول الخطيب في شرح

لفظة «يسرون» في البيت الـ٤٢ لامرئ القيس:

تَجَاوَزَتْ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعَشِراً عَلَى حِرَاساً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلَى

«ويروى: يُسِرُّونَ بالسين غير معجمة، ويُشِرُّونَ، بالشين معجمة، فمن رواه بالسين

غير معجمة احتمال أن يكون معناه: يكتمون ويحتمل أن يكون معناه: يُظهرون وهو من

الأضداد.» (الخطيب التبريزي، ١٩٩٧م: ٨٥)

● بيان ما في اللفظة من المدّ والقصر وكيفية كتابتها: وهي كثيرة في شرح ابن

الأنباريّ ولعلّ مرده إلى أنه كان يُملئ شرحه وأشار إلى هذه المسائل لتيسير الأمر

لتلامذته الذين كانوا يكتبون ما كان يملئ عليهم، منها أنه قال في لفظة «الهُوِينَى» في

البيت الـ٦٨ لعمرؤ: «وسبيله أن يُكتب بالياء لأنه يجرى مجرى متى.» (ابن الأنباريّ،

لاتا: ٤٢٤) وقال في شرح البيت السادس للحارث: «ويقال: وهو من عُليا مَعَدَّ، بضمّ

العين مع القصر، ومن عُليا مَعَدَّ بفتح العين مع المدّ.» (المصدر نفسه: ٧٣٤)

● توضيح دلالة المشتقات: كدلالة المصدر إذ وضح ابن الأنباريّ أنها اتسعت للدلالة

على الحال، كقوله في شرح البيت الخامس لامرئ القيس:

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكَ أَسِيٌّ وَتَجَمَّلَ

«قال البصريون: نصب أسيٌّ لأنه مصدرٌ وُضع في موضع الحال والتقدير عندهم: لا

تهلك آسيّاً أى حزيناً.» (المصدر نفسه: ٢٥)

ب. الجانب الصوتي الإيقاعي:

للجانب الصوتي أهمية كبيرة في الشعر، فالشاعر يصبّ معانيه وينسج ألفاظه في قالب موسيقي يشدّ الآذان ويعطف القلوب. وبالرغم من أنّ شراح المعلقات قلما يقفون عند الظواهر الصوتية فإننا لانعدم إشاراتٍ طفيفةً تخصّ هذا الجانب مثلما يتضح ذلك من خلال الشواهد التالية:

قال ابن الأنباري في شرح البيت الـ٩١ لطرفة:

وَقَالَ ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفَعُهَا لَهُ وَإِلَّا تَرُدُّوْا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزِدُّ

قال: «وزن يزدد يفتعل أصله يزتيد، فأبدلوا من التاء دالاً لأنها أشبه بالزاي وأسكنوا الدال الثانية للجزم وجعلوا الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم أسقطوها لسكونها وسكون الدال الثانية وكسرت الدال الثانية للقفية.» (المصدر نفسه: ٢٢١)

فهذه المماثلة الصوتية منشأها جهر الزاي وهمس التاء والدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر، قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي (ابن جني، ١٩٨٨م: ٧٢)، وفسّر محمود فهمي حجازي هذه الظاهرة وقال: «فالسمة الحاسمة هنا أن الزاي صوتٌ مجهورٌ؛ أي أنّ الوترين الصوتيين يهتزان بشدة عند النطق به، أمّا التاء التي كنا نتوقعها في وزن «افتعل» من المادة «زهر» ليكون الفعل «ازتهر» فهي صوتٌ مهموسٌ أي: لايتوتّر الوتران الصوتيان عند نطقهما وما حدث يتخلّص في أنّ توتر الوترين الصوتيين في نطق الزاي استمرّ بعد المدة الوجيزة جداً التي ينطق فيها صوت الزاي ... لقد استمرّ توتر الوترين الصوتيين عند النطق بما كان يظن أنه سيخرج تاء وهنا نطقت الدال، وهذا يعني (ز + ت) = (ز + د) أي: (مجهور + مهموس) = (مجهور + مجهور).» (المصدر نفسه: ٥١)

ومن ذلك أيضاً قول ابن الأنباري في شرح البيت الـ٥٣ لعمر بن كلثوم إبدال الواو تاءً في كلمة «الترات» وأصله الوُرَات لأنه فُعَال من ورثت فأبدلوا من الواو تاءً لقربها منها في المخرج. (ابن الأنباري، لاتا: ٤٠٦)

وقال في شرح البيت الـ٥٨ لزهير:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ إِمْرِيٍّ مِنْ حَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفِي عَلَيَّ النَّاسِ تُعَلِّمُ
«قوله «مهما» معناه وما تكن عند امرئ فأرادوا أن يصلوا «ما» بما التي يوصل بها حروف الجزاء كقولك «إِما» و«متى ما» فثقل عليهم أن يقولوا ماما؛ لاستواء اللفظين فأبدلوا من الألف الأولى هاءً ووصلوها بالثانية فقالوا: مهما.» (المصدر نفسه: ٢٨٩)

وأشار ابن الأنباري إلى ما التقت الحرفان من جنس واحد فحذفت إحداهما كما أشار في شرح البيت السابع لطرفة:

خَذُولٌ تُرَاعَى رَبْرَبًا بِجَمِيلَةٍ تَتَاوَلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي
«وقوله «تناول أطراف البرير» أصله تتناول، لأنه فعل للمؤنث مستقبل، قال الله عز وجل: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ (القدر: ٤) تنزل الملائكة والروح، فمعناه تنزل الملائكة فاستثقل الجمع بين تاءين فحذفت إحداهما. قال الفراء: يجوز أن يحذف الأولى ويجوز أن يحذف الثانية، لأن حركتهما متفقة، وقال هشام: المحذوفة هي الأولى، وقال البصريون: المحذوفة هي الثانية لأن الأولى علم استقبال، وعلم الاستقبال لا يسقط.» (المصدر نفسه: ١٤٣)

تخفيف اللفظ؛ ونقص منه ترك الثقل في النطق ويُلاحظ أن ابن الأنباري أشار إلى التخفيف في مواضع مختلفة ورد في شعر المعلقات. وللتخفيف أنواع مختلفة؛ منه تخفيف الحركات في الكلمات المختلفة ومنه تخفيف الحرف أي حذفها.

أما تخفيف الحركة فقد يتحقق التخفيف في كلمة ما بتخفيف حركة الضمة كما قال ابن الأنباري في شرح البيت السبعين لعمر بن كلثوم:

كَأَنَّ مُتَوَهِّنَ مُتَوْنُ غُدْرٍ تُصَفِّقُهَا الرِّيَّاحُ إِذَا جَرَيْنَا
«وتصفقها الرياح صلة غُدْر، وأصله غُدْر فسكنت الدال تخفيفاً وهو كقولهم: كتاب، وكُتِبَ وكُتِبَ.» (المصدر نفسه: ٦١٤)

وأما الثاني أى تخفيف الحرف فقال في شرح البيت الـ ٤٧ لعمر بن كلثوم:
 بَأْنَا الْعَاصِمُونَ بِكَلِّ كَحَلِّ وَأَنَا الْبَاذِلُونَ مُجْتَدِينَا
 «فالأصل في «أنا» «أنا»، فحذفت النون تخفيفاً وقال الفراء: أنا أجود من أنا
 وكلاهما جائز.» (المصدر نفسه: ٨١٤)

أو قال في شرح البيت الخامس لزهير:
 أَثَافِي سَفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ وَتُوِيّاً كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَنَلَّمْ
 «يقال: أثافي وأثافٍ وأثافٍ بالثقل والتخفيف، واحدها أثفية مشددة وقال هشام: إذا
 كانت الواحدة مشددة ففي الجمع التثقيل والتخفيف، كقولك: أمنية وأمانى، وأمان ...
 وأثفية وأثافى وأثافٍ، وأوارى وأوارٍ في جمع آرى.» (المصدر نفسه: ١٤٢)
 في الأمثلة المذكورة تحقق التخفيف بحذف حرف كما وضح ابن الأنباري، ويمكن أن
 يكون التخفيف بتسهيل الهمز أيضاً كما كان في البيت الـ ٣٢ للحارث:

فَبَقِينَا عَلَي السَّنَاءَةِ تَنَمِيماً نَا حُصُونَ وَعِزَّةً قَعَاءُ
 وقال ابن الأنباري: «ويروى «تنبيها حصون»، أى ترفعها؛ أخذ من النبوة والنباوة
 وهى المكان المرتفع ... وقال أبو عبيدة: العرب تترك همز ثلاثة أحرف أصلها الهمز وهى
 النبي من أنبأ عن الله عز وجل والحايبة وهى مأخوذة من خبات، والذرية وهى من ذراً
 الله تعالى الخلق وبعض العرب يهمز «النبي» ويخرجه على أصله.» (المصدر نفسه: ٨٥٤)
 ولا يفوتنا أن نذكر أن النحاس أشار في شرحه إلى بعض الأسباب الصوتية التى
 أثرت في الضبط الإعرابى للكلمة في أبيات المعلقات واضطر الشاعر أن يغير حركة
 الكلمة، منها:

● وزن البيت واستواؤه؛ وذلك كقوله في شرح البيت الـ ٤٧ لامرئ القيس:
 عَلا قَطْنًا بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَي السُّتَارِ فَيَذْبُلُ
 إذ «يذبل»: «كان يجب ألا ينصرف لأنه معرفة وهو على وزن الفعل المستقبل إلا أنه
 صرفه ضرورة، لأنه يجوز للشاعر أن يصرف ما لا ينصرف.» (النحاس، لاتا: ٦٤/١)

● اتباع حركة الإعراب ما قبلها في اللفظة؛ وذلك في البيت الـ ٧٥ لعمر بن:

مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِجَبَلٍ نَجْدُ الْحَبَلِ أَوْ نَقْصِ الْقَرِينَا

إذ قال: «وقوله «نجدّ الحبل» جواب الشرط، يجوز فيه الكسرُ والفتحُ والضمُّ وإظهار التضعيف في غير هذا البيت فمن كَسَرَ وهو الاختيار فالتقاء الساكنين وإنما كان الاختيار لأنه لما لَقِيَ الساكن ألفٌ ولا مٌ أشبهه اضرِبَ الرجلُ ومن فَتَحَ فلانٌ الفتحة خفيفةً والمضاعفَ ثقيلٌ ومن ضمَّ أتبعَ الضمّةَ الضمّةَ ومن أظهرَ التضعيفَ فلانٌ الساكن الثاني من نجدّ في موضع سكون.» (المصدر نفسه، لاتا: ١١٢/٢)، وهذا نوع من التوافق الصوتي بين حرفي كلمة.

● الجرُّ بالمجاورة؛ وذلك في شرحه البيت الـ٨٧ لامرئ القيس:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلِّهِ كَبِيرٌ أَنَسٌ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ
وقال: «وقوله «مزمل» أي مدثر وكان يجب أن يقول: «مزمل» لأنه نعتٌ للكبير، إلا أنه خفضه على الجوار.» (المصدر نفسه، لاتا: ٨٤/١)

إن الخطيب لم يهتمّ بالقضايا الصرفية والصوتية التي أشار الشراح وخاصة ابن الأنباري والنحاس إليها في شرحهم كالإبدال، والإدغام، والإعلال وتخفيف الألفاظ.

ج. الجانب النحوي:

من مظاهر اهتمام شراح المعلقات بالنحو في شرحهم المعلقات أنه:

● ذكر الأوجه الإعرابية المحتملة لمفردات البيت: قال الشيباني في شرح هذا البيت

لامرئ القيس:

مُهْفَهْفَةٌ بِيضًا غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ
«ومهفهفةٌ مرفوعٌ على أنه خبرٌ مبتدأٌ محذوف والكافُ في قوله كالسجنجل في موضع رفع نعتٌ لقوله «مصقولة»، ويجوز أن يكون في موضع نصب على أن يكون نعتاً لمصدر غدوّن، كأنه قال مصقولة صقلاً كالسجنجل.» (الشيباني، لاتا: ٦٤١)

● تحديد متعلق الظرف والمجرور والمجرور: كقول الشيباني في حرف «على» في البيت

التالي لمعلقة طرفة:

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنِّي نَشَدْتُ فَلَمْ أَعْقِلْ حَمُولَةَ مَعْبِدِ
«على متعلقة بلامني، ويحتمل أن تكون متعلقة بأيأسنى [في البيت السابق].»

(الشيبياني، لاتا: ٠٧)

● الاهتمام بإعراب الجمل: إذ لا يقل أهمية عن إعراب المفردات والألفاظ في الجملة وبإمكانها أن تكشف عن علاقة كل جملة بما قبلها وما بعدها ولذلك اهتم به ابن الأنباري وأشار إلى إعراب الجمل في شرحه عند تتبعه إعراب المفردات، ونماذجه كثيرة في شرحه، منها: أنه أعرب جملة أن ومعمولها بأنها سدّت مسد مفعولى خال، في شرح البيت الـ١٤ الطرفة:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىٰ خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

«وأن كافية من اسم خلت وخبره.» (ابن الأنباري، لاتا: ١٨٣)

● بيان العوامل الإعرابية: باعتبارها الركن الهام من أركان الإعراب، ذلك أن العامل في النحو هو العمود الفقري الذي تدور حوله كثير من الأبحاث الرئيسية والفرعية، ومعنى العامل يتجلى عند النحويين لتحقيق المعنى الذى اقتضاه الإعراب أو هو ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص. (المرجاني، ١٩٣٨م: ١٢٦) وابن الأنباري لا يكاد يتخلى عن بيان العامل الإعرابي وهو حيناً عنده بيان مختصر يكتفى فيه بمجرد ذكر العامل على نحو قوله في الشطر الثاني للبيت الـ٢١ للحارث «عند عمرو وهل لذاك بقاء»: «والبقاء رفع باللام في قوله: (لذاك).» (ابن الأنباري، لاتا: ٤٥٤)

● الإشارة إلى آراء الكوفيين والبصريين في قضايا نحوية: قال النحاس في شرح

البيت الـ٣٣ للبيد:

فَمَضَىٰ وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّدَتْ أَقْدَامُهَا

«وفيه من النحو أنه قال: وكانت مؤنث والأقدام مذكر، فزعم الكوفيون: أنه لما أولى

كان خبرها وفرق بينها وبين اسمها، توهم التأنيث فأنت وحكى الكسائي عن العرب:

كانت عادة حسنة من الله المطر. وقال بعض البصريين أنه إنما أنت الأقدام لأنه مضاف

إلى مؤنث وهو مشتمل عليه وشبهه بما أنشد سيبويه:

رَأَتْ مَرَّ السَّنِينِ أَخَذَنْ مَنِي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ

فأنت المرّ لأنه مشتمل على السنين.» (النحاس، لاتا: ١٤٧/١)

● الإشارة إلى معاني الحروف والظروف في البيت: إذ نلاحظ أن بعضها تأخذ معنى

بعض في البيت ليناسب المعنى. قال النحاس في معنى حرف «الباء» في البيت الـ٣٩ لامرئ القيس:

تُضَى الظَّلَامُ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةٌ مُسَى رَاهِبٍ مُتَبَيِّلٍ

إذ قال: «بالعشاء» معناه «في العشاء»، كما يقال: فلان بمكة وفي مكة وإنما صارت

الباء في موضع «في» لقربها من معناها. (النحاس، لاتا: ٢٧/١)

● الإشارة إلى بعض قضايا نحوية وقواعدها: كقول الزوزني في شرح البيت الـ٣٤

لامرئ القيس، إذ قال: «يكون لا مع الفعل الماضي بمنزلة لم مع الفعل المستقبل في

المعنى.» (الزوزني، ١٩٦٣م: ٨٣)

من الشراح الذين اهتموا بالنحو والإعراب هم ابن الأنباري إذ كان إماماً في النحو

وكذلك النحاس إذ ضاع صيغته شرحه بالنحو والإعراب.

يبدو لنا بعد التأمل في كتاب ابن الأنباري أنه كان يتعصب للمذهب الكوفي في النحو

ويظهر ذلك لنا من خلال أمرين: الأول خلال تنبيهه آراء الكوفيين وكثرة استشهاده

بأقوال أئمة هذا المذهب كأبي جعفر أحمد بن عبيد، والفراء، وأبي عبيدة والثاني خلال

اعتماده المصطلحات الكوفية في بيان إعراب الآيات.

أما القضايا النحوية التي أُولعَ بها النحاس في شرحه فقلما اعتمد فيها على ابن

الأنباري ولعل ذلك يعود إلى اختلاف المنهجين، لأن ابن الأنباري كان ذا نزعة كوفية

في النحو، بينما النحاس كان يميل إلى المذهب البصري. وأما عنايته بالنحو والإعراب

فجلية كل الجلاء، الأمر الذي جعل كتابه تطبيقاً لقواعد النحو وأحكامه ومسائله في

النصوص الجاهلية.

ظهر اهتمام النحاس بالقياس في كتابه في شرح المعلقات في مظاهر، منها أنه كان

يشير إلى القياس وما هو الأصل في اللغة، قال في شرح لفظة «الهيام» في البيت الـ٤١

للبيد: «والهيام قبيل هو الرَّمْل اللين وقيل هو ما تناثر من الرمل، يقال: انهام وأنهار

وانهال بمعنى واحد وجمعه في القياس أهيمَة.» (النحاس، لاتا: ١٥٢/١) والدليل على

اختيار أشيع الأقوال أن في مدرسة البصرة اشترط البصريون في الشواهد أن تكون

جارية على السنة العرب وأن تكون كثيرة الاستعمال.

وأما موقفه من العلة والتعليل، فلا يفوتنا أن نشير هنا إلى أنّ النحاة - وخاصة نحاة البصرة - قد اهتموا بالعلة اهتماماً كبيراً فبحثوا وأوجدوا لكل ظاهرة يرونها أو يتحدّثون عنها علة، فالنحاس بوصفه نحوياً اهتمّ بالعلة والتعليل في بيانه إعراب الأبيات في شرحه القيم. ممّا يلاحظ على منهج النحاس في العلة أنه كان يفاضل بين العلل إذا تعددت في المسألة الواحدة ويختار الراجح منها، وإليك مثلاً يوضح هذه السمة المنهجية، كما قال في شرح البيت الـ٥٦ للبيد:

تَرَكَ أَمَكِنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضْهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حِمَامُهَا

بعد أن أشار إلى الأقوال المختلفة في إعراب لفظة «يرتبط» قائلاً: «وجزم «يرتبط» عطفاً على قوله: «إذا لم أرضها» هذا أجود الأقوال، ... وقيل: «يرتبط» في موضع رفع إلا أنه أسكنه لأنه ردّ الفعل إلى أصله، لأن أصل الأفعال الأثرب وإنما أعربت للمضارعة، وقيل: إن «يرتبط» في موضع نصب ومعنى أو بمعنى (إلا أن).» (النحاس، لاتا: ١٦١/١)، ذكر القول المفضل عنده معللاً: «وإنما اخترنا القول الأول وهو أن يكون في موضع جزم لأن أبا العباس محمد بن يزيد قال: لا يجوز للشاعر أن يُسكّن الفعل المستقبل، لأنه قد وجب له الإعراب لمضارعة الأسماء وصار الإعراب فيه يُفَرِّق بين المعاني، ألا ترى أنك إذا قلت: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، كان معناه خلاف معنى قولك: وتشرب اللبن، فلو جاز أن تُسكّن الفعل المستقبل لجاز أن تُسكّن الاسم ولو جاز أن تُسكّن الاسم لما تبيّن المعاني.» (المصدر نفسه: ١٦١/١)

والمجدير بالذكر أنّ النحاس استخدم لغة العرب مادةً لتعليقاته النحوية وأشار إلى كثرة استعمال العرب وهذه العلة - حسب تقسيم الزجاجي للعلل - علة تعليمية وهي التي يتوصّل بها إلى تعلّم كلام العرب، فإذا سمعنا بعضاً قيس عليه نظيره. (الزجاجي، ١٩٥٩م: ٦٤) واستخدم أيضاً لغة القرآن مادةً لتعليقاته النحوية، وأصدر مثل هذه التعليقات بقوله: «وبه جاء القرآن»، وهذا ما جاء به في توجيهه تفضيل إعراب النصب على الرفع في قول النابغة. (النحاس، لاتا: ١٥٨/٢)

من سمات منهج الزوزنيّ عدم اهتمامه الكثير بالقضايا النحوية ولكنه قد يتعرّضها لبيان مواقع الكلمات والجمل، واهتمامه بالنحو ومسائله كان في الحدّ الذي يساعده على

كشفت المعنى، إذ يُعدّ النحو وسيلة مهمة في تكوين العلاقة بين الشعر ومعناه والتحليل النحوي من أهمّ وسائل الكشف عن معنى الشعر كما قال صاحب «الخصائص» موضحاً علاقة التجاذب بين المعنى والإعراب: «وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين؛ هذا يدعوك إلى أمر وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى وارتحت لتصحيح الإعراب.» (ابن جنّي، ١٩٨٨م: ٣٦/١)

وأما الخطيب فمما عاب بعض الباحثين عليه في تعامله مع النحو في شرح المعلقات هو التكرار المملّ الذي لا فائدة فيه أحياناً، وأشار إلى أن الخطيب أصرّ على إعادة ما ذكره أنه شيء جديد وذكر مثلاً له وهو قول الخطيب في الكاف، قال: «والكاف في قول الشاعر: «يعودُ كما يلوح الضياء» في موضع نصب، لأنها نعت لمصدر محذوف، وقوله: والكاف في قوله: «كخافية الغراب» في قول الشاعر: «سوداً كخافية الغراب الأسحم» في موضع نصب، والمعنى: سوداً مثل خافية الغراب الأسحم، وقوله: والكاف في قول الشاعر: «كفعل الشارب» في قوله: «غرداً كفعل الشارب المترّتم» في موضع نصب، لأنها نعت لمصدر محذوف، والمعنى: يفعل مثل فعل الشارب.» (الفتلي، ١٣٦٦ش: ١٠٧)

ولكننا نظن أنه ليس عيباً للخطيب في منهجه وأحسن الظن بأن الخطيب أراد أن يكون شرحه لكل بيت كاملاً وافياً لكل ما فيه من النحو واللغة وغيرها.

د. الجانب البلاغيّ:

بما أن شرح النحاس قد وُضع للغاية النحوية وللإهتمام بمختلف قضاياها في المعلقات فنكاد لا نحصل على ما تعلقّ بالبلاغة بمختلف فروعها - المعاني، البيان والبديع - في شرحه وكأنه جعل النحو نصب عينيه ولم يدخل في البلاغة.

ولم يفرد الزوزنيّ قسماً خاصاً بعنوان "البلاغة" في شرحه ليوضح فيه المقولات البلاغية في أقسامه الثلاثة - المعاني، البيان، والبديع - ولكنه اهتمّ بها في أثناء شرحه معنى البيت، لأن المعنى الذي اهتمّ به كثيراً لم يتضح دون بيان طرفي التشبيه ووجه الشبه بينهما أو الاستعارة، وإذا كان لكلمة دلالة أثرت على المعنى الكليّ شرح الزوزنيّ المعنى مشيراً إلى تلك الدلالة، مثلاً في البيت السادس لقصيدة امرئ القيس:

وَإِنَّ شِفَائِي عَابِرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
 خرجت الاستفهام عن معناها الحقيقي ودخلت في حقل المعاني الثانوية ونبه الزوزني
 هذه المسألة إذ قال: «وهذا استفهام يتضمّن معنى الإنكار، والمعنى عند التحقيق: ولا
 طائل في البكاء في هذا الموضوع، لأنّه لا يرد حبيباً ولا يجدى على صاحبه بخير، أو لا
 أحد يعول عليه ويفزع إليه في مثل هذا الموضوع.» (الزوزني، ١٩٦٣م: ٩) كما أشار إلى
 معنى التهكم والاستهزاء في كلمة «تشتموننا» في قول عمرو بن كلثوم في البيت الـ٣٢ من
 قصيدته. (المصدر نفسه: ١٢٤) ولم يُشر الشراخ إلى وجه الشبه بين طرفي التشبيه في كل
 التشبيهات إلا في بعضها، منها:

● قال الزوزني في البيت ١٥ للبيد قال: «فكأنّ الظعن منعطفات وادي بيشة أثلها
 وحجارتها العظام، شبهها في العظم والضخم بهما.» (المصدر نفسه: ٩٦) لم يُشر الشراخ
 إلى التقسيمات المختلفة للتشبيه كالمرسل، والمجمل، والتمثيل، والبلغ...
 أمّا في شرح الاستعارات التي وُجدت في أبيات المعلقات فأشار الزوزني بين الشراخ
 إلى بعض الألفاظ التي تتعلق بها كـ "يستعار، مستعار، استعار، استعارة". كقوله في
 شرح بيت ٥١ لمعلقة امرئ القيس. (المصدر نفسه: ٢٩)

- غفل الشراخ ذكر الكنايات الموجودة في الأبيات وهي في ستة مواضع من المعلقات
 إلا الزوزني وأشار إليها ضمن شرحه المعنى دون أن يهتم بأنواعها، وأتى بلفظ "كنى"
 أو "كناية عن" للتعبير عنها.

- أمّا المجاز فسماه الزوزني فقط مرّة واحدة في شرحه للبيت ٢٤ للحارث:

قَبْلَ مَا الْيَوْمَ بَيَّضَتْ بُعْيُونَ الِ نَاسٍ فِيهَا تَغَيُّظٌ وَإِبَاءٌ

قال: «جعل التغیظ والإباء للعزة مجازاً وهما عند التحقيق لهم.» (الزوزني، ١٩٦٣م:

(١٥٩)

في سائر المواضع وضح المجاز دون ذكر اسمه وبيان أنواع العلاقات بين الطرفين،
 كشرحه للبيت ٢٩ لامرئ القيس:

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلٍ

إذ أشار إلى إسناد الفعل إلى «بطن خبت» وقال: «أسند الفعل إلى بطن خبت،

والفعل عند التحقيق لهما ولكنّه ضرب من الاتساع في الكلام.» (المصدر نفسه: ١٩) أو ذكر في البيت ٦٦ لهذا الشاعر:

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْصَحِ بِمَاءٍ فَيُغَسَّلِ

قال: «نسب فعل الفارس إلى الفرس لأنّه حامله وموصله إلى مرامه.» (م.ن: ٣٦) ولكنّه لم يقل أنه من المجاز وعلاقته السببية.

- لم يهتمّ الشراحُ بالتعليق على الألفاظ الصعبة التي اتصف بتنافر مخرجها وثقل النطق بها مثل (مستشزرات) في البيت من معلّقة امرئ القيس، و(شاو، مثل، شلول) في البيت للأعشى، وكأنهم تركوا هذه الظاهرة للبلاغيين الذين أفردوا لها مباحث خاصة في كتبهم.

- لم يركّز الشراحُ في شروحهم على دراسة المحسنات اللفظية باعتبارها أساساً في تشكيل المعنى، فضلاً على دورها الموسيقي في إنشاد الشعر ولكنه وردت نماذج قليلة تتصل بهذه المحسنات منها:

● المزاوجة: التي أشار إليها الزوزنيُّ في شرح البيت ٥٣ لعمرو:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

إذ قال: «أى لا يسفهنّ أحدٌ علينا فنسفه عليهم فوق سفههم، أى نجازيهم جزاءً يربى عليه، فسُمّي جزاء الجهل جهلاً لازدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال جلّ ذكره: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرٌ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقال جلّ وعلا: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] سُمّي جزاء الاستهزاء والسيئة والمكر والخداع استهزاء وسيئة ومكراً وخداعاً لما ذكرنا.» (المصدر نفسه: ١٢٧) وقال ابن الأنباريُّ مستشهداً بالحديث في إيضاحه المزاوجة التي تُسمّى في الكتب البلاغية «مشاكلة»، في شرح البيت الـ ٩١ لعمرو، وقال: «وجاء في الحديث: «فإن الله لا يملّ حتى تملّوا.» [الألباني ٥: ١١١]، فمعناه فإن الله تعالى لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسألته وتزهّدوا فيها، فالله جلّ ثناؤه لا يملّ في الحقيقة وإنما نُسب الملل إليه لازدواج اللفظين.» (ابن الأنباري، لاتا: ٤٢٦)

● السجع: أشار إليه الزوزنى في شرحه البيت الأول لزهير: قال: «وقوله «لم تكلم» جزم بلم ثم حرّك الميم بالكسر لأن الساكن إذا حرّك كان الأحرى تحريكه بالكسر ولم يكن بدّ ههنا من تحريكه ليستقيم الوزن ويثبت السجع ثم أشبعت الكسرة بالإطلاق لأنّ القصيدة مطلقة القوافي.» (الزوزنى، ١٩٦٣م: ٧٣)

● الالتفات: أتى كلُّ الشّراح بتوضيحه عندما شرحوا الأبيات، كقول الزوزنى في شرح البيت ٦ لعنّرة إذ قال: «يقول: نزلت الحبيبة بأرض أعدائي فعرس على طلبها وأضرب عن الخبر في الظاهر إلى الخطاب وهو شائع في الكلام، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ﴾ [يونس: ٢٢]» (المصدر نفسه: ١٣٨) وأما الخطيب فإنه مع أنه كان يعيش بسنين بعد شارح كابن الأنباري ووضعت قواعد البلاغة على يد أصحابها الأجلاء كالسكاكي والجرجاني لكنه لم يتكئ على ما جرى في عصره وزمانه من التطور في النظريات البلاغية، إذ يلاحظ أنه ذكر لفظة الاستعارة أو ما ترتبط بها من الألفاظ كلمة «مستعارة» فقط وذلك مرة واحدة في شرح البيت الـ٧٥ لامرئ القيس. (الخطيب التبريزي، ١٩٩٧م: ٧٦)

٢. ٢. ١. ٢. المستوى الدلالي:

نقصد بالمستوى الدلالي ما عمد هؤلاء الشّراح عليه في إطار سعيهم إلى تبديد الغموض عن معاني الشعر إلى التعامل مع المعنى تبسيطاً وكشفاً. وفي الحقيقة إنّ المستوى الفني بفروعه هو عبارة عن روافد شتى مصبّها هو المعنى أي هذا المستوى الدلالي. والمعنى هو قلبُ الشرح والوصول إليه يكون عبر مسالك فنيّة متنوعة صرفاً، ومعجماً، وصوتاً، وإيقاعاً، ونحواً، وبلاغةً.

بالنسبة إلى المعنى في شرح الشيباني - نظراً إلى المنهج الإيجازيّ الغالب في شرحه - فيشرحه في بعض الأبيات بعد أن يفسر الألفاظ الغريبة والكلمات الصعبة في البيت، وكثيراً ما يغفل بيان المعنى في شرحه. ولكننا نجد في بعض مواضع أنه يعجب بمعنى البيت كقوله في شرح البيت الـ٦٤ لمعلقة امرئ القيس:

وَقَدْ أَعْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

«والمعنى أن هذه الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد، وهذا الكلام جيد بالغ لم يسبقه إليه أحد.» (الشيبياني، لاتا: ١٦١)

اهتمّ ابن الأنباريّ بالمعنى من خلال شرحه الألفاظ والعبارات الموجودة في البيت ولكن يبدو أنه لم يلتزم بشرح معنى البيت بصورة ملتزمة ولا يجعل موضعاً خاصاً له في شرح كل بيت، ولعلّ مردّ هذا إلى أن المعنى يتضح بتوضيح الألفاظ والعبارات والإعراب. ويبيّن ابن الأنباريّ معنى الأبيات على أساس رواياته، ومثال ذلك شرحه البيت الـ ٥١ لزهير:

وَمَنْ لَا يَزِلُّ يَسْتَرِحُّ لُ النَّاسِ نَفْسَهُ وَلَا يُعْفِيهَا يَوْمًا مِّنَ الدَّمِّ يَنْدَمُ

قال: «ويُروى: «ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه»، فمن رواه «يسترحل» أراد يجعل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونه، ومن رواه «يستحمل» أراد يحمل الناس على عيبه.» (ابن الأنباريّ، لاتا: ٢٨٤)

● الإشارة إلى مرجع الضمير في إعرابه، وهو من القضايا التي اهتمّ بها العربون سواء في ظهوره أو استتاره لأن لها دخلاً في بيان المعنى، والخطأ في تقدير مرجع الضمير في النصّ يغيّر المعنى المراد أو يجعله غامضاً مبهماً، وهذا الأمر مما أولاه ابن الأنباريّ حقه من العناية لثلاث تلتبس المعاني على أحد؛ ومناذج ذلك كثير في شرحه منها إشارته إلى مرجع الضمير في البيت الرابع عشر لامرئ القيس: «تقول وقد مال الغبيط بنا» قال: «ما في "تقول" يعود على غنيزة في قول من زعم أنها امرأة.» (المصدر نفسه: ٣٧) وقال في البيت الثامن للبيد مشيراً إلى القولين في مرجع الضمير:

وَجَلَا السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مُتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا

«وإنما أراد جلّاه كلّ، وفي الهاء قولان: يقال هي عائدة على الدار، ويقال على الأطلال.» (المصدر نفسه: ٥٢٧)

● تفسير المعنى على أساس الروايات المختلفة للبيت، قال النحاس في شرح البيت الـ ٧٢ لمعلقة امرئ القيس:

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَهَانَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ الْمُقْتَلِ

«ومعنى «أهان السليط» أي لم يُعزَّ وأكثر الإيقاد به، ولا معنى لرواية من روى: أمال

السليط.» (النحاس، لاتا: ٤٥/١)

ونراه أيضاً يفضل روايةً على الآخر لأن المعنى يصح ويستقيم وذلك كقوله في شرح البيت السادس للبيد:

فَعَلَا فُرُوعُ الْأَيْهَقَانِ وَأُطْفَلَتْ
بِالْجَهْلَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا
«ويروى: فعلا فروع الأيهقان بالنصب، على معنى: فعلا السيل فروع الأيهقان، والرفع أجود لأن المعنى فعاشت الأرض وعاش ما فيها، ألا ترى أن بعده: «وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها» ويروى: فعلا أى ارتفع وزاد ومعناه كمعنى علا.» (النحاس، لاتا: ١٣٣/١)

● الإشارة إلى المعانى التى تحملها كلمة واحدة في البيت موضحاً معنى البيت على أساسه: وذلك كقول الخطيب في شرح لفظة "الإحفاء" في البيت السادس عشر للحارث:

أَنْ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يُغْلَوْنَ نَ عَلَيْنَا فِي قِيْلِهِمْ إِحْفَاءٌ
«و«إحفاء» يمتل معنيين: أحدهما أن يكون معناه الاستقصاء، كأنهم استقصوا علينا ونقضوا العهد، من قولك: أحفيت شعري، إذا استقصيت أخذه، والمعنى الآخر أن يكون من: أحفيت الدابة إذا كلفتها ما لا تطيق حتى تحفى، فيكون معناه في البيت: أنهم ألزمونا ما لا تطيق.» (الخطيب التبريزي، ١٩٩٧م: ٢٩٨)

كان المعنى الغاية الأولى لدى الزوزنى في شرحه المعلقات ونراه يستخدم شرح المفردات والعبارات والنحو والبلاغة خدمة للمعنى الذى أعطاه أعظم جهوده واهتمامه في كتابه. وبرز هذا الجانب - أى المعنى - في شرحه حتى نراه يستخدم ما حصله من ثقافة ومعرفة في سبيل إيضاح المعانى. إنه أشار إلى المعنى بلفظ «يقول» وهذا اللفظ مما نشاهده تقريباً في كل الآيات المشروحة في كتاب الزوزنى، ووضح الأمر في النماذج التى أشرنا إليها إلى حد الآن فنكتفى هنا بمثال:

وَإِنَّ الضُّغْنَ بَعْدَ الضُّغْنِ يَبْدُو
عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا
«يقول: وإن الضغن بعد الضغن تفسحو آثاره ويخرج الداء المدفون من الأفتدة أى يبعث على الانتقام.» (الزوزنى، ١٩٦٣م: ١٢٥)

وَضَحَ المعنى أكثر فأكثر وأتى بلفظ «تحرير المعنى» أو «المراد منه» أو «يريد» أو «المعنى من هذا الكلام» وشرح معنى البيت وقلبه على عدّة وجوه لئلا يبقى فيه أى غموض وإبهام:

وَمَهْمَا تُكْنِ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفِي عَلَيِ النَّاسِ تُعَلِّمُ
«يقول: ومهما كان للإنسان من خلق فظنّ أنّه يخفى على الناس عليم ولم يخف..
وتحرير المعنى: أنّ الأخلاق لا تخفى والتخلق لا يبقى.» (المصدر نفسه: ٨٩)
وإذا طال بيانه في المعنى لخصه وأتى بقوله «تلخيص المعنى»، كقوله في شرح البيت
٣١ لمعلّقة لبيد:

فَتَنَازَعَا سَبِطًا يَطِيرُ ظِلَالُهُ كَدُخَانٍ مُشَعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرَامُهَا
قال: «يقول: فتجاذب العير والأتان في عدوهما نحو الماء غباراً ممتداً طويلاً كدخان نار
موقدة تشعل النار في دقاق حطبها؛ وتلخيص المعنى: أنّه جعل الغبار الساطع بينهما بعدوهما
كثوب يتجاذبانه ثم شبهه في كثافته وظلمته بدخان نار موقدة.» (المصدر نفسه: ١٠١)
ووضّح المعنى نظراً لتكوين الكلمة صرفياً، كالبيت ٥١ لعنترة:

وَمِشْكٌ سَابِغَةٌ هَتَكَتُ فُرُوجَهَا بِالسَّيْفِ عَنِ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعَلِّمِ
«المعلم» بكسر اللام بمعنى الذى أعلم نفسه أى شهرها بعلامة حتى ينتدب الأبطال
لبرازه، والمعلم بفتح اللام بمعنى الذى يُشار إليه ويدل عليه بأنّه فارس الكتيبة وواحد
السرية. وشرح الزوزنى المعنى نظراً إلى هذين المعنيين اللذين يؤثران في المعنى: «يقول:
وربّ مشك درع أى ربّ موضع انتظام درع واسعة شققت أوساطها بالسيف عن
رجل حام لما يجب عليه حفظه شاهراً نفسه في حومة الحرب أو المشار إليه فيها.»
(المصدر نفسه: ١٤٨)

ويبين معنى العبارة المشكّلة أو الجمل الغامضة، كشرحه للبيت ١٤ لعمرؤ:
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بَكْرِ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا
إذ شرح عبارة (لم تقرأ جنينا) بقوله: «أى لم تضمّ في رحمها ولداً.» (المصدر نفسه: ١٢١)
من مزايا شرح الخطيب في توضيح المعنى أنه كان يُلاحظ علاقة الكلام بما قبله أو
بما بعده في شرحه الأبيات، كقوله في شرح البيت الثلاثين لامرئ القيس، متقيداً بتسلسل

رواية الأبيات:

هَصْرْتُ بِقَوْدِي رَأْسَهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رَبِّيَا الْمُخْلَخَلِ
قال: «وذكر بعضهم أن جواب «لما» قوله «انتحى بنا» والواو مقحمة ويجوز أن تكون الواو غير مقحمة ويكون الجواب محذوفاً ويكون التقدير: فلما أجزنا ساحة الحى أمناً وعلى هذا الوجه تكون رواية البيت الذى بعده: (الخطيب التبريزي، ١٩٩٧م: ٥١) إذا قلتُ: هاتى، نؤلىنى تمايَلتُ على ... البيت»

٢. ٢. ٢. الشرح من الخارج:

ينهض هذا الإطار على الاستشهاد بنصوص متنوعة كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والأشعار العربية والأمثال.

أ. القرآن الكريم:

يُعتبر القرآن أفصح نصٍّ عربىٍّ استشهد به المشتغلون بالعربية منذ صدر الإسلام وبه تعلقت نشأة الدراسات العربية بفروعها المختلفة ولقد أجمع العلماء على أن القرآن هو النصُّ الوحيد الموثوق بصحته وعدّوه في أعلى درجات الفصاحة وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة. (البكاء، ١٩٩٠م: ١٦٢)

في الجدول التالى ذكر لعدد الآيات المستشهد بها في شرح كل معلقة عند كل شارح:

عدد الآيات المستشهد بها في شروح المعلقات عند كل من شارحها

المعلقة	الشييبانى	ابن الأبارى	النحاس	الزوزنى	الخطيب
امرؤ القيس	٣١	١٦	١٥	٩١	٢١
زهر	٣١	٨١	٧٢	٧	٢١
ليبيد	٤	٠٤	٩٣ ٩٣	٧	٢١
عمرو	_____	٨٤	٢٢	٧	٤
طرفة	٥١	٨٣	٦٣	٤	٧١
عنتره	٣١	٤٢	٧٣	٤	٧١
الحارث	_____	٧٣	٧٢	١	٧
الأعشى	١	_____	٣١	_____	٤
النابعة	_____	_____	٨١	_____	٢
المجموع (٧) (معلقات)	٩٥	٦٦٢	٠٧٢	٩٤	٧٨

واضح أنّ الخطيب لم يستشهد بآية قرآنية في شرحه معلّقة عبید بن الأبرص أبداً، وأنّ النحاس كان أكثر الشراح مستشهداً بالآيات القرآنية في شرحه المعلّقات. أما عدد الآيات المستشهد بها في الأغراض المختلفة، فالجدول التالي يشير إليه:

أغراض الاستشهاد بالآيات القرآنية وعددها ونسبتها المئوية

الخطيب	الزوزني	النحاس	ابن الأثيري	الشيبياني	غرض الاستشهاد بالآيات
٤٣	٨١	٦٧	٦٤	٢٢	بيان قضية نحوية
٨٣	٧١	١٦١	٣٩١	١٣	شرح الألفاظ الصعبة
٥	٨	٢١	١١	٢	توضيح مسألة صرفية
٣	٦	١١	٦	٣	شرح موضوع بلاغي
٣	—	٣	١	١	توضيح عادات العرب اللغوية
٤	—	٧	٦	—	تأكيد المعنى
٧٨	٩٤	٠٧٢	٦٦٢	٩٥	المجموع (٤ أغراض)

تظهر من الجدول للمتأمل أنّ الشراح قد خصّصوا أكثر الشواهد القرآنية لشرح الألفاظ والنحو، وهذا يدلنا على السمة البارزة لشروحهم إذ هي الاهتمام بالغة والنحو، ولعلّ الطابع التعليمي الغالب على هذه الشروح جعل أصحابها يهتمون بهما أكثر من غيرهما.

ب. الحديث النبوي الشريف:

مع أنّ الحديث من أهمّ الشواهد اللغوية بل أهمّها بعد القرآن وليس الشعر وغيره من كلام العرب بأوثق منه ولا أصحّ منه بعد القرآن في الاستشهاد على اللفظ الغريب، نلاحظ أنّ شراح المعلّقات لم يكونوا مكثرين من الحديث النبوي الشريف في شروحهم المعلّقات وإن لم تخل هذه الشروح منه واستشهادهم بالحديث فمعظمها في مسائل لغوية - إن لم نقل جميعها -، ولعلّ الأمر يعود إلى نفس الدليل الذي يجعل النحاة المتقدمين أن يرفضوا الاستشهاد به، وهو أن الحديث النبوي الشريف مع أنه كان في غاية البلاغة والفصاحة وكان قد جرى على لسان أفصح من نطق بالضاد ولكن بعد أن تمكّن الإسلام أن يتجاوز الجزيرة العربية ويدخل شتى بقاع الأرض ودخل فيه كثير من الأعاجم

واختلطت اللغة العربية بغيرها من اللغات أخذ الناس الذين قد يتطرق للحن إلى ألسنتهم ينقلون الحديث بمفاهيمه ومعانيه لا بألفاظه الشريفة. (عبد المقصود، ٢٠٠٦م: ١٧) وإليك بعض النماذج منها:

● قال الشيباني في شرح لفظة "الجثوة" في البيت السبعين لمعلقة طرفة:

تَرِي جُثُوتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيهِمَا صَفَائِحُ صُمِّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْصَدِّ
«والجثوة التراب المجموع، يقال للرجل: إنما هو جثوة اليوم أو غد، ويقال لكل مجتمع جثوة، والجمع جثي، وفي الحديث: «من دعا دعاء الجاهلية فإنه من جثي جهنم» [الهيثمي، ١٩٩٩م: ٨٦٨/٢] أي من جماعات جهنم.» (الشيباني، لاتا: ٦٧)

● قال النحاس في شرح لفظة "نصته" في البيت ٣٣ لامرئ القيس:

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرَّئِمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصْتُهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ
«وفي الحديث عن النبي (ص): «أنه كان إذا وجد فُرْجَةً نَصَّ» [ابن الأثير، ١٩٧٠م: ٢٥١/٣]، أي أسرع.» (النحاس، لاتا: ٢٤/١)

● قال النحاس في موضع واحد من شرحه مستشهداً بالحديث لشرحه التشبيه في البيت وذلك في البيت ٨١ لطرفة:

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَاشٌ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ
«وقوله «كرأس الحية»: العرب تقول لكل متحرك نشيط رأسه كراس الحية فأما الحديث الذي يروى في صفة الدجال «كأن رأسه أصلة» [الطبراني، ١٩٨٣م: ٢٧١/١١]، فإن الأصل الأفعى.» (النحاس، لاتا: ٨٩/١)

ج. الشعر العربي:

أما الشواهد الشعرية في شروح المعلقات فكانت للأغراض التالية: شرح مفردة، وبيان قضية نحوية، وتوضيح مسألة بلاغية، وتأكيد المعنى، وبيان حادثة تاريخية، وشرح عادات العرب اللغوية وآدابهم، وشرح النكات العروضية، وشرح مسألة صرفية والإشارة إلى أسماء الأعلام وشرحها. إليك بعض النماذج منها:

● عندما أراد الزوزني توضيح أسماء الجبال التي أشار إليها لبيد في قصيدته (الغول،

الرجام، الريان) في البيتين الأول والثاني، قال: الغول والرجام: جبلان معروفان ومنه قول أوس بن حجر:

زَعَمْتُمْ أَنَّ غَوْلًا وَالرَّجَامَ لَكُمْ وَمَنْعَجًا فَادْكُرُوا وَالْأَمْرُ مُشْتَرِكُ
الريان: جبل معروف، ومنه قول جرير: (الزوزني، ١٩٦٣م: ٩١)

يَا حَبَّذَا جَبَلِ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذَا سَاكِنِ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَ
● قال النحاسُ مثلاً في شرح البيت الثامن عشر لعنترة في لفظة «الروضة» ناقلاً عن أبي عبيدة: قال أبو عبيدة: إذا كانت الروضة في مكانٍ عالٍ قيل لها تُرعة، وقال أبو زياد الكلابي: أحسن ما تكون الروضة إذا كانت في مكان مرتفع غليظ وأنشد: (النحاس، لاتا: ١٥/٢)

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ

د. الأمثال العربية:

أما الأمثال العربية فلم يكن لها بوصفها جزءاً من كلام العرب نصيبٌ وافٍ في شروح المعلقات، إذ نجدهم قلماً يستشهدون بالأمثال في شرح المعلقات. ولا يزيد عدد الأمثال المستشهد بها في شروحهم على عدد أصابع اليد وكلها في شرح الألفاظ.

● قال الشيباني مثلاً في شرح البيت ٣٤ لطفرة:

وَصَادِقَتَا سَمِعِ التَّوَجُّسِ لِلْسَّرِيِّ لِهَجْسِ خَفِيِّ أَوْ لِصَوْتِ مُنَدِّدِ

«وقيل للنهر سرى، سمى بهذا لأن النهر يسرى فيه الماء، قال المبرد خص النهر بهذا الاسم من قولهم: «خير المال عين ساهرة لعين نائمة» [الميداني، ٢٠٠٣م، المثل: ١٣٠٢] أي لا تنام وإن نمت عنها.» (الشيباني، لاتا: ٥٤)

● قال الخطيب التبريزي مستشهداً بالمثل في شرح البيت الخمسين لامرئ القيس:

وَوَادِ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الذُّبُّ يَعْوَى كَالْخَلِيعِ الْمُجَلِّلِ

واستشهده هذا كان في شرح عبارة «جوف العير»، مشيراً إلى القولين اللذين وردا في شرحه، قال: «فيه قولان: أحدهما: أن جوف العير لا ينتفع منه بشيء، يعني العير الوحشي، والقول الآخر: أن العير هنا رجل من العمالقة، كان له بنون ووادٍ خصيب،

وكان حسن الطريقة فسافر بنوه في بعض أسفارهم فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم، فكفر بالله وقال: لا أعبد رباً أحرق بنى وأخذ في عبادة الأصنام، فسلط الله على واديه ناراً - والوادي بلغة أهل اليمن يقال له: الجوف - فأحرقته فما بقي منه شيء وهو يُضربُ به المثل في كل ما لا بقية فيه.» (الخطيب التبريزي، ١٩٩٧م: ٦٣) والمثل في مجمع الأمثال هو: أخلى من جوف الحمار، أو أخلى من جوف العير. (الميداني، ٢٠٠٣م، المثل: ١٣٦٤)

النتيجة

ظهر من خلال البحث عدّة نتائج هامة:

- اتّجه شرّاحُ المعلقات إلى الضربين من الشرح: ضرب يتعلق بالمقال وآخر بالمقام ويلتبان على نحوٍ مثير في هذه الشروح حتى أصبح الفصلُ بينهما من قبيل التعسف.
- رصدُ الشراحِ مميزاتِ الكلمة في بنيتها الصرفية هو سبيلهم إلى رصد معناها.
- استخدامُ الشراحِ الشاهدَ في بعض الأحيان قاصدين إلى كشف الجوانب الفنيّة والأبعاد الدلاليّة لأبيات المعلقات.
- الشواهدُ الحديثية وإن لم تخلُ شروحُ المعلقات منها جاءت في موضوعات أقرب إلى التعبير اللغويّ منها إلى التركيب النحويّ أو البلاغيّ، ولعلّ موقفَ الشراحِ يقرب من منهج النحاة.
- المنهجُ الغالب على شرح الشيباني هو منهجُ الإيجاز والاختصار، إذ اكتفى الشيبانيُّ بالإشارة إلى معنى بعض الألفاظ أو الرواية الموجزة لألفاظ البيت حتى أنها لا تتجاوز سطرًا واحدًا أو سطرين، ولم يستطرد كثيرًا في شرحه إلى مسائلٍ مختلفةٍ أخرى كالبلغة، والنحو، والقضايا الصرفية والصوتية، والاستشهاد بالشواهد المختلفة كما أننا إذا قارنا شواهدَه بشواهد الشراح الآخرين نلاحظ أنّ استشاداته أقلُّ بكثيرٍ من استشادات غيره.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأنباري، محمد بن القاسم. لاتا. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. تحقيق وتعليق عبد

- السلام محمد هارون. ط٢. القاهرة: دار المعارف.
- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد. ١٩٧٠م. جامع الأصول في أحاديث الرسول. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط. لامك: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان.
- ابن جنى، أبو الفتح عثمان بن جنى. ١٩٨٨م. الخصائص. تحقيق محمد على النجار. بيروت: المكتبة العلمية.
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ١٤١٤ق. لسان العرب. ط٣. بيروت: دار صادر.
- الخطيب التبريزي، يحيى بن علي. ١٩٩٧م. شرح المعلقات العشر. تحقيق فخر الدين قباوة. دمشق: دار الفكر.
- دويكات. جهاد محمد إحميد. ٢٠٠٠م. «أثر المعلقات العشر في النحو العربي». رسالة الماجستير. جامعة النجاح الوطنية بنابلس. كلية اللغة العربية وآدابها.
- الزجاجي، أبو القاسم. ١٩٥٩م. الإيضاح في علل النحو. تحقيق مازن المبارك. القاهرة: المؤسسة السعودية.
- الزوزني، الحسين بن أحمد. ١٩٦٣م. شرح المعلقات السبع. بيروت: دار صادر - دار بيروت.
- طبانة، بدوى. ١٩٥٨م. معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي. بيروت: دار الثقافة.
- الفتلي، عبد الحسين. لاتا. «النحو عند التبريزي في شرح القصائد العشر». فصلية المورد. العدد ٦١. صص ٨٧-١١٨.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. ١٩٨٣م. المعجم الكبير. تحقيق: حمدى بن عبد المجيد السلفى. الموصل: مكتبة العلوم وحكم.
- الميداني، أبو الفضل. ٢٠٠٣م. مجمع الأمثال. تحقيق و شرح للدكتور قصى الحسين. بيروت: دار و مكتبة الهلال.
- النحاس، أحمد بن محمد. لاتا. شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الوردني، أحمد. ٢٠٠٩م. شرح الشعر عند العرب. من الأصول إلى القرن ١٤هـ (دراسة سانكرونية). بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الهيثمي، ابن حجر. ١٩٩٩م. الزواجر عن اقتراف الكبائر. بيروت: المكتبة العصرية.